

ولأننا لا نجد هذه القلة هنا فهم من ساكني سائر الأرضين أم سائر الكرات كما لمحت لهم آية الشورى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(١).

ذلك التكريم وهذا التفضيل يجعلان الإنسان في قمة التكوين بأحسن تقويم في صورته وسيرته، لو تبناه بطاقاته وإمكانياته لأصبح في أحسن تقويم ثان، كما أنه في تغافله وتجاهله عن أحسنه في التكوين يُرد إلى أسفل سافلين، فلا أحسن منه إن أحسن، ولا أسفل منه إن سفّل! «فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»^(٢).

فالصورة الإنسانية ككلٌ بجزئيه «هي أكرم الصور على الله»^(٣) ف «الحمد لله الذي خلقني فأحسن خلقي وصورني فأحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري وأكرمني بالإسلام»^(٤).

وكونها أكرم الصور تلمح أن القليل الموازي للإنسان هو أيضاً في تقويم الإنسان مهما سمي باسم الإنسان أم سواه، إلا أن لأهل بيت الرسالة المحمدية فضيلة تفوق الفضائل، فلا أحد يساويهم أو يسامهم في العالمين.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٩.

(٢) المصدر ح ٣١١: في علل الشرائع بإسناده عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فقالت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تعالى ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله . . .».

(٣) المصدر ح ٣١١ في كتاب الخصال فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه: إذا نظر أحدكم في المرأة فليقل . . .

(٤) نور الثقلين ٣: ١٨٧ ح ٣٠٨ تفسير القمي عن علي عليه السلام في حديث « . . . فأما ملك منهم ففي صورة الآدميين وهي أكرم الصور على الله . . .».

كَتَبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ :

تلکم الكرامة والفضيلة سلباً وإيجاباً في تبني العقائد والأعمال تسرح
في مسرح القيامة، مشهد يشهد فيه كل أناس ما قدم وما أخرج، فإنه يوم
الطامة التامة .

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ أناس الخير الناس يُدعون بإمام الخير،
وأناس الشر النسناس يدعون بإمام الشر! ففي واجهة الخير رسول كل أناس
إمامهم، وخلفائه أئمتهم، وكتاب شرعتهم إمامهم، وكتاب أعمالهم إمامهم
وكما يروى عن إمام الأئمة رسول الله ﷺ: «يدعى كل قوم بإمام زمانهم
وكتاب ربهم وسنة نبیهم»^(١) وكذلك واجهة الشر، حيث الإمام هو من يؤتم
به إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

فكلُّ رسول من أولي العزم الخمس يدعى به أناسه، وكلُّ إمام من
خلفاء الرسول ﷺ يدعى به قرنه كما يدعى الكل برسولهم^(٢)، وكل كتاب

(١) الدر المثور ٤ : ١٩٤ - أخرج ابن مردويه عن علي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : ﴿يَوْمَ
نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قال: يدعى... وأخرجه في عيون الأخبار عن
الرضا ﷺ عنه ...

(٢) نور الثقلين ٣ : ١٩٠ ح ٣٢٥ في محاسن البرقي... عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبي
عبد الله ﷺ : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ فقال: يدعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم .
قلت: فيجىء رسول الله ﷺ في قرنه وعلي ﷺ في قرنه والحسن في قرنه والحسين في
قرنه الذي هلك بين أظهرهم به قال: نعم .

أقول: ولكن قرن الرسول يعم القرون كلها وهم الأمة الإسلامية أجمع كما في ٣٢٩ عن عبد الله
ابن غالب عن أبي جعفر ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ قال
المسلمون يا رسول الله ﷺ أأنت إمام الناس كلهم أجمعين! قال: فقال رسول الله ﷺ : أنا
رسول الله إلى الناس أجمعين ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي
يقومون في الناس فيكذبون وتظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشباعهم فمن والاهم واتبعهم
وصدقهم فهو مني ومعى وسيلقاني ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معى وأنا منه بريء .

من الخمس يدعى به أتباعه، كما وكل كتاب من كتب الأعمال يدعى به ناسه وأُناسه وكتاب السقوط والنجاح نتيجة حساب الأعمال. أئمة خمس لمن هي له، وأربعة لمن عاش رسوله دون خلفائه.

الرسول لكل ناس هو الإمام الناطق الأصيل وكتابه هو الإمام الصامت الأصيل ثم خلفاء كل رسول هم الفرع الناطق^(١)، وسنته هي الفرع الصامت، ومن ثم كتاب الأعمال إمام صاحبه حيث يأتّم به يوم الجزاء، فالأعمال أئمة تقود أصحابها بخيرها وشرها في الآخرة الأوفى وفي الدنيا أحياناً، كما كتب النجاح والسقوط أئمة.

وقد نطق القرآن بإمامة كلٍّ من الخمسة، فكتاب الأعمال من إمام مبین: ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) وكتاب النجاح أو السقوط: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أقرءُوا كِتَابِي﴾^(٣) ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِي﴾^(٤).

(١) ملحقات الإحقاق ١٤: ٦٣٧ الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج ١ ص ٤١٦ ط بيروت عن الحسين بن سعيد عن الحسن بن سماعة عن حبان عن أبان بن تغلب سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] قال: نحن أهل البيت وبسند آخر عن أبي هارون عن أبي سعيد في قوله: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ قال: علي عليه السلام.

وفيه قدم ورد توصيفه عليه السلام علياً بالإمامة بعناوين مختلفة وقد تقدم نقل الأحاديث المأثورة عنه عليه السلام في أنه الإمام بعده في ٤: ٨٦ وإمام كل مسلم ٤: ٣٣١ وإمام الأمة ٤: ٩٣، ١٤٩، ١٦١، ٣٣٠ وإمام الأتقياء ٤: ١١٨ وإمام كل مؤمن ومؤمنة ٤: ١٣٩ وإمام من أطاع الله: ١٦٧ وإمام القوم ٤: ٢٨٤ وإمام المسلمين (٤): ٢٨٤ وإمام من يدخل الجنة ٤: ٢٨٩ وإمام الأولين والآخرين ٤: ٣٦٢ وإمام المتقين ٤: ١١ - ٢٠ و ٩٩ و ٢٨٤ و ٣٣٤ و ٣٨١.

(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٩.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٢٥.

وكتاب الوحي إمام: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾^(١) فبأحرى القرآن إمام بل هو إمام الأئمة من سائر الوحي.

ورسول الوحي إمام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(٢) فبأحرى محمد ﷺ فإنه إمام الأئمة من سائر حملة الوحي: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٣).

وورثة الرسل أئمة بعدهم بالوراثة النيابية: ﴿ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكَتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^{(٤) (٥)}.

ولا يخلو أي زمان من إمام ناطق بالحق إما ظاهراً أو غائباً: «اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن وصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة إلى رضوانك وافترضت طاعته وحذرت معصيته، وأمرت بامتثال أمره والانتهاه عند نهيه ولا يتقدمه متقدم ولا يتأخر عنه متأخر»^(٦).

وترى أن إمام كل أناس هو كل من افترض عليهم طاعته وإن لم يطيعوه؟ فلا يدعى إذا بأي إمام ضال؟ والدعوة تعم أئمة الهدى وأئمة الضلال! أم يدعى كل أناس بمن اعتقدوه لهم إماماً وإن لم يعتمدوه عملياً؟ والائتمام لا يخص جانب العقيدة، فإنه الإيمان والعمل الصالح^(٧)! فالإمام

(١) سورة هود، الآية: ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٥) نور الثقلين ٣: ١٩٤ ح ٣٤٤ عن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أنتم والله على دين الله ثم تلا: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّمْ﴾ [الإسراء: ٧١] ثم قال: علي إمامنا ورسول الله ﷺ إمامنا. كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه ونحن ذرية محمد وأما فاطمة.

(٦) عن الصحيفة السجادية عن الإمام السجاد عليه السلام.

(٧) المصدر ح ٣٢٧ في كتاب الخصال بإسناده إلى الأصبع بن نباتة قال: أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير إلى المدائن من الكوفة فسرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث =

الناطق والصامت من هادٍ أو مضل هو المقتدى عقيدياً وعملياً بدرجاتهما، وكتاب الأعمال هو مسجلة الصور والعقائد والأصوات كما كانت وصدرت، وكتاب النجاح أو السقوط هو حصيلة الحساب في كتاب الأعمال.

= في سبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة يسمى الخورنق فقالوا: تنتزه فإذا كان الأربعاء خرجنا فلاحقنا علياً قبل أن يجمع، فبينما هم يتغدون إذ خرج عليهم ضب فصادوه فأخذه عمرو بن حريث فنصب كفه وقال: بايعوا هذا أمير المؤمنين فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم وارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المدائن يوم الجمعة وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب ولم يفارق بعضهم بعضاً وكانوا جميعاً حتى نزلوا على باب المسجد فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله أسر الي ألف حديث في كل حديث ألف باب لكل باب ألف مفتاح وإني سمعت الله جل جلاله يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] وإني أقسم لكم بالله ليعثن يوم القيامة ثمانية نفر يدعون بإمامهم وهو ضب ولو شئت أن أسميهم لفعلت قال: فلقد رأيت عمرو بن حريث سقط كما تسقط السقفة حياءً ولوماً. وفي مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ أي من اقتدى بمحق قبل وزكى.

وفي الخرائج والجرائح في أعلام أبي محمد العسكري قال أبو هاشم بعد أن روى كرامة له عليه السلام فجعلت أفكر في نفسي عظم ما أعطى الله آل محمد وبكيت فنظر إلي وقال: الأمر أعظم مما حدثت به في نفسك من عظم شأن آل محمد عليهم السلام فاحمد الله أن يجعلك متمسكاً بحبلهم تدعى القيامة بهم إذا دعي كل أناس بإمامهم إنك على خير» وح ٣٣١ في رجال الكشي عن حمزة بن الطيار قلت لأبي عبد الله جعلني الله فداك لو فلقت رمانة فأحللت بعضها وحرمت بعضها لشهدت أن ما حرمت حرام وما أحللت حلال فقال: حسبك أن تقول بقوله وما أنا إلا مثلهم لي ما لهم وعلي ما عليهم فإن أردت أن تجيء مع الذين قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾ فقل بقوله. ح ٣٤٥ عن إسماعيل بن همام قال الرضا عليه السلام في الآية إذا كان يوم القيامة قال الله: أليس عدل من ربكم أن تولوا كل قوم من تولوا؟ قالوا بلى قال: فيقول: تميزوا فيتميزون ٣٤٦ عن محمد بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن كنتم تريدون أن تكونوا معنا يوم القيامة لا يلعن بعضنا بعضاً فاتقوا الله وأطيعوا فإن الله يقول: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ﴾.

أقول: هذه الأحاديث كلها دليل على أن إمام كل أناس هو من يأتون به عقائدياً وعملياً دونما ادعاء خاوا!

فالظاهر يدعى بإمام طاهر والغازر بغادر «يجيء كل غادر بإمام يوم القيامة ما يلاً شدقه حتى يدخل النار»^(١).

وهل الكتاب المؤتى هنا باليمين هو كتاب الأعمال؟ فيقرأه كل بصير وأعمى حجة له أو عليه: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٢)؟ وهنا القراءة لمن يؤتاه يمينه، وغيره أعمى لا يستطيع قراءته!

أم هو كتاب السقوط أو النجاح؟ وليقرأه كلُّ ساقط وناجح: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ﴾^(٣) ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ﴾^(٣) ﴿وَهُنَا الْأَعْمَى لَا يَقْرَأُ كِتَابَهُ! أَوْ هُوَ يَقْرَأُ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ.

أو هو كتاب شرعته الإلهية حيث توجب عليه اتباعها ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ يوم الأخرى كما قرأوه يوم الدنيا فهو هنا بصير كما كان هناك بصيراً - ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ (لدنيا) ﴿أَعْمَى﴾ لم ينظر إلى كتاب شرعته، أو نظر وبسر وأدبر واستكبر، أم أي نظر لم تلحقه عقيدة أو عمل ﴿فَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَعْمَى﴾ لا ينظر إلى كتاب شرعته مهما حاول ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ إذ كان له في الدنيا أن ينظر ولم... وليس له هنا أن ينظر ولن^(٤) وقد كان له في الدنيا توبة ما دام فيها أن ينظر بعدما ترك، ولا يفيد هنا النظر فلا ينظر، ولا يُنظر ولو نظر^(٥).

(١) نور الثقلين ٣: ١٩٢ ح ٣٣١ - الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: ...

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٤.

(٣) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

(٤) المصدر ح ٣٥٨ عن ثواب الأعمال بإسناده إلى النبي ﷺ أنه قال: ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله ﷻ يوم القيامة أعمى فيقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَأَيْتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُؤَسِّئُ ﴿طه: ١٢٥-١٢٦﴾ فيؤمر به إلى النار.

(٥) المصدر ح ٣٤٠ في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه إذا كان يوم القيامة يدعى كل إمامه الذي مات في عصره، فإن انتبه أعطي كتابه يمينه لقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] فإن أوتي كتابه يمينه ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْفُوا بِكِتَابِيهِ... إِنْ لَمْ يَكُنْ أَوْ مُلْقٍ حِسَابِيهِ﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] الآية والكتاب الإمام فمن نبذه وراء ظهره كان كما قال نبذوه =

وقد تعني وحدة الكتاب ﴿كَتَبْتُ﴾ وحدته الشخصية فيما كتاب الشريعة أو كتاب النجاح، أم وحدته في الحقيقة فيشملها حيث النجاح أو السقوط من مخلفات تطبيق كتاب الشريعة وعدمه.

وترى إذا كان في الآخرة أعمى فكيف يقرأ كتاب عمله أو كتاب سقوطه، أو يترأى أهل النار وأهل الجنة؟

الجواب أن العمى هنالك نسبية وقتية، فقد يعمى وقد يبصر وكلاهما عذاب فوق العذاب، وهو فيها أعمى القلب مهما يبصر. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٧٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٧٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتْنَا فَسَيِّئًا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْشِئُ ﴿١٧٦﴾﴾ (١).
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ (٢).

فمهما هم يحشرون عمياً وبكماً وصمماً، عُميةً، عن كتاب الشريعة، وبُكماً عن الحجاج واللجاج، وصمماً عما يلذ، ولكنهم يرون كتاب أعمالهم وسقوطهم عذاباً فوق العذاب، كما حشُرهم عمياً وبكماً وصمماً عذاب فوق العذاب، وسماعهم لما يسمعون ونطقهم بما يتكلمون عذاب فوق العذاب، فلا هم هناك صم بكم عمي ما هم هنالك، ولا هم يسمعون ويتكلمون ويرون ما هم هناك، فقد يعذبون عذاباً فوق العذاب فقديناً لهذه، وقد يعذبون وجداناً لها، مهما كانوا عمياً عن الحقائق الموجودة» (٣).

= وراء ظهورهم ومن أنكره كان من أصحاب الشمال قال الله: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّامِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ ﴿٤١﴾﴾ في سُمُورٍ وَجَمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَظَلِّ مِّنْ يَّجْمُورٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٤٣] إلى آخر الآية أقول: من استدلاله ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَقُولْ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنَبُ...﴾ يعرف أنه كتاب الشريعة، وعلماً مراد أن في الآية.

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤-١٢٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

(٣) نور الثقلين ٣: ١٩٥ ح ٣٥٠ في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا ﷺ مع أهل الأديان والمقالات في التوحيد كلام الرضا ﷺ مع عمران وفيه: إياك وقول الجهال أهل العمى =

وتراهم يقرؤون كتابهم إن كانوا من أصحاب اليمين ولا يظلمون فتيلاً،
 فهل يظلم أصحاب الشمال العمي كما لا يقرؤون كتابهم؟
 كَلَّا! ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ﴾^(١) وقد اختص هنا أصحاب اليمين بنفي الظلم لأنهم بذلك أحق
 وأحرى .

وقد لا يعني ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عمى من قراءة كتابه ألا يستطيعها،
 وإنما عمى القلب عن الحقائق الموجودة^(٢) مهما قرأ كتاب شرعته وأعماله
 وسقوطه، فالآخرة نسخة كاملة عن الدنيا بأعمالها حيث تظهر فيها الحقائق،
 و«أعمى العمى عمى الضلالة بعد الهدى وشر العمى عمى القلب»^(٣) .
 فلا بد لكل أناس من إمام يأتهم به في حق، و«من مات بغير إمام مات
 ميتة جاهلية»^(٤) .

= والضلال الذين يزعمون أن الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب والثواب والعقاب
 وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ولو كان في الوجود لله ﷻ نقص واهتضام لم يوجد
 في الآخرة أبداً ولكن القوم تاهوا وعموا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلك قوله ﷻ :
 ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] يعني أعمى عن الحقائق
 الموجودة .

- (١) سورة غافر، الآية: ١٧ .
 (٢) المصدر ح ٣٥٢ في كتاب التوحيد بإسناده عن أبي جعفر ﷺ في قول الله ﷻ : ﴿وَمَنْ
 كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢] قال: من لم يدلّه خلق السماوات والأرض واختلاف الليل
 والنهار ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على أن وراء ذلك أمر أعظم منه
 ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ .
 (٣) المصدر ح ٢٥٦ من خطبة للإمام علي ﷺ . ٣٥٦ .
 (٤) نور الثقلين ٣: ١٩٤ ح ٣٤٣ تفسير العياشي عن عمار الساباطي عن أبي عبد الله ﷺ لا
 تترك الأرض بغير إمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله وهو قول الله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ
 بِإِمْنِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] ثم قال: قال رسول الله ﷺ : من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية
 فمدوا أعناقهم وفتحوا أعينهم فقال أبو عبد الله ﷺ : أليست الجاهلية الجهلاء؟ فلما
 خرجنا من عنده قال لنا سليمان: هو والله الجاهلية الجهلاء ولكن لما رأكم مددتم أعناقكم
 وفتحتم أعينكم قال لكم كذلك .

﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِيَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾:

﴿وَأِنْ كَادُوا﴾ (من كان في هذه أعمى) ليفتنوك (أيها الرسول) عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره (كما يشتهون) وإذا لا تأخذوك خليلًا (يتخللونك حباً ووفاقاً بما تخللوا فيك فرية ونفاقاً جزاءً وفاقاً)! «ولولا...».

﴿كَادُوا﴾ من الكيد وهو هنا مقارفة الاحتيال المذموم، أم الكود مقاربة للفعل المذموم، وعلهما هنا معنيان أنهم احتالوا الفتنة واقتربوا لها لولا... .

الفتنة الشيطانية مهما اتجهت إلى الرسول بكل كيد وخدعة، ولكنها لا تصله بما يحذره هو ويحذره الله عصمة ذات بعدين: ﴿وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾ (١) ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ...﴾!

ولا سيما الفتنة التي تحمله على الفرية في رسالته الإلهية و﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِشُرَّانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْرٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

ومهما كانت الفتنة كيداً في استلامه آلهتهم سماحاً في استلام الحجر الأسود (٤) أم دخولاً في دينه (٥) أم طرداً للذين اتبعوه من سقاط الناس

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٤) الدر المشهور ٤: ١٩٤ - أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال كان رسول

الله ﷺ يستلم الحجر فقالوا «تدعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا فقال رسول الله ﷺ: وما

علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه فأنزل الله: ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾ [الإسراء: ٧٣].

(٥) المصدر أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: إن أمية بن =

ومواليهم حتى يتبعوه^(١) أم ماذا من الفتنة المكيدة له القريبة إليه . . . فكل ذلك بعيد عن ساحته بعصمته وما تحذّر بما حذره الله ، مهما كان قريباً إليه كبشر . ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّتَكَ﴾!

فما يروى من ركونه إليهم أو افتراءه على الله في قصة الغرانيق^(٢) وأمثالها إنها مضروبة كلها عرض الجدار حيث العصمة الإلهية تسده عن هذه وتلك . والشيطان أياً كان ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣) فأنى له ذلك السلطان على أول العابدين ورسول المؤمنين المتوكلين!

فهناك العصمة الربانية ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّتَكَ﴾ عَصَمْتَهُ عن وصمة مقاربة الركون إليهم وإن شيئاً قليلاً ، بعد أن عصمته العصمة البشرية - بعون الله - مقارفته وإن ﴿كِدَتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ دون أي ركون أم قربه شيئاً كثيراً!^(٤) :

= خلف وأبا جهل بن هشام ورجالاً من قريش أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تعال استلم آلهتنا وندخل معك في دينك وكان رسول الله ﷺ يشد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم فرّق لهم فأنزل الله ﴿وَإِنْ كَادُوا...﴾ [الإسراء: ٧٣] ﴿نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥].

(١) المصدر أخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير أن قريشاً أتوا النبي ﷺ فقالوا له: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم فأوحى الله إليه ﴿وَإِنْ كَادُوا...﴾ [الإسراء: ٧٣].

أقول «فركن إليهم» خلاف نص الآية «لقد كدت تركن إليهم فليكن فكاد أن يركن إليهم . . .» . المصدر وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: أنزل الله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: ١] فقرأ عليهم رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿أَفَرَأَيْتُمْ أَلَّتْ وَالعُرَى﴾ [النجم: ١٩] فألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى - فقرأ النبي ﷺ ما بقي من السورة وسجد فأنزل الله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ...﴾ [الإسراء: ٧٣] فما زال مغموماً حتى أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ...﴾ [الحج: ٥٢].

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٩ .

(٤) هذا الثبوت الإلهي ليس العصمة التي أوتي بدء رسالته ، إذ لا يوكل في العصمة ولا يخول فيها ، وإنما هي تدريجية استمرارية بمشيئة الله ، فلئن وكله إلى نفسه طرفة عين لركن إليهم!